

الصهيونية ، يقول راصدا التغير المستقبل : « ونستمع إلى بعض الأحاديث عن منشآتهم في مستعمراتهم ، فنستشعر الخوف من المستقبل » - ص ٢٢٢ .  
وهنا نقف أمام صورة حياة للعالم المتغير ، أين نحن الآن سنة ١٩٩٦ مما صوره أحمد أحمد سنة ١٩٣٠ ؟

حتى يصل بيت المقدس <sup>(١)</sup> ، كل ذلك بالقطار ، فأين رحلة اليوم من رحلة الأمس ؟ هل يستطيع العربي أن يستقل هذين القطارين في عالمنا المتغير !  
وفي ذلك يذكر البحر الميت ، وما فيه من خيارات فيرحل بنا مرة أخرى للمستقبل قائلًا :

« فنستشعر الخوف من الصهيونية المقبلة » - ص ٢٢٣ .

إن هذا الرصد لمظاهر التغير المتوقعة ، وجدوى أدب الرحلة أعرب عنه أحمد أمين في حديثه ذاك ، إذ قال :

« والرحلة - في نظري - لا تكون لها قيمة حقة ، إلا إذا انفتح القلب لما يرى ، وجمال الخيال في ذلك جولته ، ومزج الإنسان ما يرى بنفسه . . . ومع هذا فالأديب والفيلسوف من طبيعتهما أن يجتزنا في أنفسهما كل ما يقع تحت حسهما في وعى أو من غير وعى ، ولا يدري أحدهما متى ينتفع بهذا وكيف ينتفع ، ولكنه سيستفح حتما على كل حال » - ص ٢٢٥ .

وأعتقد أن أحمد أمين ، وكل قصاص رحال ، على حق في جدوى الانفتاح مما ينقله لنا الأديب من مظاهر العالم المتغير سواء أكانت مقدمات - كما ذكر أحمد أمين - أم نتائج كما نعيش اليوم .

لقد قال في مقدمة حديثه هذا خلاصة رأيه في الرحلة :

« هذا إلى ما أعتقد في الرحلات من فوائد ، فأنا أرى أن الشيء لا تمكن معرفته حق المعرفة إلا بالمقارنة ، فالأبيض إنما يعرف بياضه بمقارنته بالأسود والأخضر والأصفر ، والأمة لا يعرف أنها متأخرة إلا بقياسها بأخرى متقدمة ، فما دمت في مصر ولم أر غيرها لم أستطع الحكم الصحيح عليها إلا عن طريق الكتب ، وهى أقل جدوى من المشاهدة .

(١) كما يشير إلى رحلة أخرى قام بها للمسجد الأقصى ، ص ٢٢٥ .